الحلقة الرابعة

نساء مصر يتحدثن عن غرام امرأة العزيز بفتاها

امرأة العزيز تدعوهن إلى مـــأدبة فـــى منزلـــــها

النساء ينبهرن من حسن يوسف ويقطعن أيديهن

المرأة تعترف أمام ضـــيوفها بمـــراودة يوسف

obeikandl.com

الآيات القرآنية التى صيغ منها شعر الحلقة الرابعة

﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ .

obeikandl.com

أشعار الحلقة الرابعة

وهناكَ من قالوا عن البرهانِ قولَ المفترين ١
قالوا : فيوسفُ همَّ يأتى ذلكَ الفعلَ المشين ٢
فأتاه برهانُ الإله رآه رؤيةَ مبصرين ٣
لما رأى البرهانَ فرَّ أمامَها كالهاربين ٤
هذى المقالةُ تظلمُ الصّديقَ نسلَ المكرمين ٥
هُم قد أساءوا القولَ فيه ، ولم يكونوا منصفين ٦
لو أنصفُوه لراجعوا ما قيلَ فى الذكر المبين ٧
اللهُ كرمَه وقال بأنهُ فى المخلَصين ٨
أخبارُ يوسفَ معْ زليخَا ، ندرة المتحدثين ٩
ونساءُ مصرَ لقد غَدَونَ على رءوسِ الخائضين ١٠
قد قلنَ فيما بينهنَّ مقالةَ الغمزِ المهين ١١
قالوا : زليخا قد أحبّت عبدَها كالعاشقين ١٢
قد ضاعَ منها رُشدُها ضلّت طريقَ الراشدين ١٣
وترددتْ أصداءُ هذا القول بين الشامتين ١٤
وصل الحديثُ إلى زليخا مثلَ كل السامعين ١٥
صنعتْ طعامًا كالوليمة، كافيًا للمدعوين ١٦
ودعت إليه نساءَ مصرَ من البيوتِ الموسرين ١٧
هذى الأرائك قد أُعدتْ راحةً للجالسين ١٨
بعد الطعامِ أتت بفاكهةٍ لكلِّ الحاضرين ١٩
وعلى الموائدِ كل سكينٍ لها حدٌّ متين ٢٠
يقطعنَ بالسكينِ من أشهى الفواكه آكلين ٢١
كانتْ زليخا خططتْ لتفاجئَ المتلومين ٢٢
قد أصدرتْ أمرًا إلى خُدَّامِها والعاملين ٢٣
قالتْ لهم : قوموا على تجميلِ يوسفَ مجمعين ٢٤
قد جملوه فزاد حُسنًا فوق وصفِ الواصفين ٢٥

من بعدِ ذا قالت ليوسفَ : فاستمعْ كى تستبين ٢٦
اخرجْ على جمعِ النساءِ لكى يَرَيْنكَ أجمعين ٢٧
فأطاعَها ، فرأينه فى الحسنِ ليس له قرين ٢٨
وأصابهُن من الذهولِ ودهشةِ المتعجبين ٢٩
قد صِرنَ أيضًا كالسكارى، ذاكم الوصف الأمين ٣٠
ودماؤهن غدتْ تسيلُ من المُدى ، هذا يقين ٣١
هتفَ النساءُ وقلن قولاً جاءَ فى الذكرِ المبين ٣٢
هذا لعمرُ اللهِ ملك فى ثيابِ الآدمين ٣٣
لكن زليخا قررتْ لنسائها كى تستبين ٣٤
هذا الذى لتنَّنى فى حبِّه فى اللائمين ٣٥
تالله قدْ راودتُه فأبىَ إباءَ الرافضين ٣٦
إنى عجبتُ لأمرِهِ وغدَوت فى المتحيِّرين ٣٧
ماذا يريد فتَايَ هذا؟! إنه كالمستهين ٣٨
إنْ لم يطعْ أمرى فسوفَ ينالُه السجنُ المهين ٣٩
ويذوقُ طعمَ الذلِّ بين النازلين المجرِمين ٤٠
هب النساءُ يقلنَ للصديقِ قولَ الناصحين ٤١
لِمَ لَمْ تطعْها؟! إن هذا من فعالِ الجاهلين ٤٢
إنْ لم تطعْها فهو سجنٌ فى غياهبَ مظلمين ٤٣
وتذوقُ ويلاتِ العذابِ ، وحسرةَ المتندمين ٤٤

رأى آخر عن البرهان

.....

وهناكَ من قالوا عن البرهانِ قولَ المفترين ١
قالوا : فيوسفُ همَّ يأتى ذلكَ الفعلَ المشين ٢

أقوال بعض المفسرين عن البرهان :

قال القرطبى: «وهذا البرهان غير مذكور فى القرآن، فروى عن على بن أبى طالب، أن زليخا قامت إلى صنم مكلّل بالدّر والياقوت فى زاوية البيت، فسترته بثوب ، فقال: ما تصنعين ؟! قالت : أستحيى من إلهى هذا أن يرانى فى هذه الصورة ، فقال يوسف: أنا أولى أن أستحيى من الله؛ وهذا أحسن ما قيل فيه ، لأن فيه إقامة الدليل ، وقيل:

رأى مكتوبا فى سقف البيت : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ . وقال ابن عباس : بدت كف مكتوب عليها ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴾ وقال قوم : تذكر عهد الله وميثاقه ، وقيل : نودى يا يوسف ! أنت مكتوب فى ديوان الأنبياء، وتعمل عمل السفهاء؟! وقيل : رأى صورة يعقوب على الجدران عاضًا على أنملته يتوعده ، فسكن، وخرجت شهوته من أنامله . . إلخ ».

تفسير الجلالين: ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ ﴾قصدت منه الجماع ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾ قصد ذلك ﴿ لَوْلَا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ ﴾ قال ابن عباس : مثل له يعقوب ، فضرب صدره ، فخرجت شهوته من أنامله ، وجواب لولا، لجامعها ﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ أريناه البرهان ﴿ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ ﴾ .

البيضاوى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّت بِهِ وَهَمَّ بِهَا﴾ قصدت مخالطته، وقصد مخالطتها، والهم بالشىء قصده والعزم عليه، ومنه الهام، وهو الذى إذا هم بشىء أمضاه، والمراد بهمّه عليه السلام، ميل الطبع ومنازعة الشهوة، لا القصد الاختيارى، وذلك مما لا يدخل تحت التكليف، بل الحقيق بالمدح والأجر الجزيل من الله من يكف نفسه عن الفعل، عند قيام هذا الهم ومشارفة الهم، كقولك: قتلته لو لم أخف الله ﴿ لَوْلَا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ ﴾ فى قبح الزنا وسوء مغبته لخالطها لشبق الغلمة، وكثرة المبالغة، ولا يجوز أن يجعل وهم بها، جواب لولا، فإنها فى حكم

أدوات الشرط، فلا يتقدم عليها جوابها، بل الجواب محذوف يدل عليه وقيل : . .».

وهذا إنصاف ليوسف !!

ابن كثير : قال وأفاض فى النقل عن ابن جرير الطبرى، الذى نقل قول ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وابن سيرين والحسن وقتادة وغيرهم. . وكل هؤلاء قالوا: لقد هم يوسف بالمعصية ، لولا أنه رأى البراهين المتعددة التى ذكرها القرطبى وابن جرير والجلالين ، وتلك البراهين كانت لعمر الله كافية لردع أعتى الفساق المعتادى الفاحشة.

obeikandl.com

القول بأن البرهان ليوسف كان ماديا

.....

فأتاه برهانُ الإله رآه رؤيةَ مبصرين ٣
لما رأى البرهانَ فرَّ أمامَها كالهاربين ٤

لقد أبديت رأيى فى الصفحات الماضية، عن هم يوسف، وهم امرأة العزيز، وقد جمعت بعض الآراء التى تؤيد صحة ما رأيته، بأن يوسف الصديق، برىء مما ذهب إليه بعض المفسرين، وما نسبوه إليه من أقوال تسىء إلى نبى كريم، من سلالة أنبياء كرام، إذ هو الرابع فى السلسلة الذهبية. . فهو نبى كريم ابن نبى كريم ابن نبى كريم ابن أبى الأنبياء إبراهيم خليل الله !! .

فكثير من المفسرين ، انزلقوا فى النقل ، فتحدثوا عن يوسف الصديق ، كما يتحدثون عن معتادى الفاحشة ، ونسوا أنهم يتحدثون عن يوسف الصديق !!!

لقد نقلوا من الإسرائيليات ، روايات لا يمكن أن يصدقها عاقل ، والعجيب فى هذا الأمر ، أن أسوأ الأقوال التى نقلوها ، منسوبة لابن عباس ، فقد قيل: إنه سئل عن هم يوسف فقال : استلقت له وجلس بين رجليها ينزع ثيابه، فصرف الله تعالى عنه ما كان هم به من السوء بما رأى من البرهان الذى أراه الله ، وهو : صورة أبيه عاضًا على أصبعه، أو نودى من جانب البيت، أتزنى فتكون كالطير وقع ريشه، فذهب يطير ولا ريش له، أما صاحب تفسير المنار ، فقد تصدى للدفاع عن يوسف الصديق ، بحرارة وجرأة ، بل وسخر من المفسرين الذين حشوا تفاسيرهم بمثل هذه الأقوال الباطلة فقال:

«ذهب الجمهور والمخدوعون بالروايات ، إلى أن المعنى ، أنها همت بفعل الفاحشة، ولم يكن لها معارض ولا مانع منها، وهم هو بمثل ذلك، ولولا أنه رأى برهان ربه لاقترفها، ولم يستح بعضهم أن يروى من أخبار اهتياجه وتهوكه فيه، ووصف انهماكه وإسرافه فى تنفيذه، وتهتك المرأة فى تبذلها بين يديه ، ما لا يقع مثله إلا من أوقح الفساق ، المسرفين المستهترين الذين طال عليهم عهد استباحة الفواحش، وألفتها حتى خلعوا العذار، وتجردوا من جلابيب الحياء، وأمسوا عراة من لباس التقوى ، وحلل الآداب ، إلى أن قال : وقد بلغ ببعضهم «كالسدى الصغير وأمثاله» الوقاحة وقلة الأدب، أن يزعموا أن يوسف عليه السلام لم ير برهانًا واحدًا، بل رأى عدة براهين: من رؤية والده متمثلاً له منكرًا عليه، وتكرار وعظه له، ومن رؤية بعض الملائكة، ونزولهم عليه بأشد زواجر القرآن بآيات من سوره ، فلم تنهه من شبقه، ولم تنهه عن غيه، حتى كان أن خرجت شهوته من أظافره !!!

بعض المفسرين يقولون : هم يوسف هم فعل

.....

هذى المقالةُ تظلمُ الصّديقَ نسلَ المكرمين ٥
هُم قد أساءوا القولَ فيه ، ولم يكونوا منصفين ٦
لو أنصفُوه لراجعوا ما قيلَ فى الذكر المبين ٧
اللهُ كرمَه وقال بأنهُ فى المخلَصين ٨

بعض المفسرين ، فسروا «هم» يوسف الصديق أنه «هم» الاستجابة والموافقة على دعوة امرأة العزيز . . هذا القول فى رأيى فيه تجن على يوسف الصديق ، لقد نسوا أنهم يتحدثون عن نبى من أنبياء الله ، هو سلالة آباء كرام ، والأنبياء معصومون ، حتى قبل النبوة ، ولننقل هنا عبارة القاضى عياض فى كتابه القيم « الشفاء بتعريف حقوق المصطفى» قال عن الأنبياء جميعا :

« وأما عصمتهم من هذا الفن قبل النبوة ،فللناس فيه خلاف . .والصواب أنهم معصومون قبل النبوة ،من الجهل بالله وصفاته،والتشكك فى شىء من ذلك،وقد تعاضدت الأخبار والآثار عن الأنبياء ، بتنزيههم عن هذه النقيصة منذ ولدوا ، ونشأتهم عن التوحيد والإيمان ، بل على إشراق أنوار المعارف ، ونفحات ألطاف السعادة » جـ٢ صفحة ٩٣ .

ولو أن الذين قالوا هذا القول ، قرأوا القرآن بأناة وتفكر ، لأدركوا الحقيقة التى لا تقبل الجدل ، إذ أن فى آيات القرآن الكريم ، دليل براءة يوسف مما نسب إليه . . وهذا أحد عمالقة المفسرين يضع يده على هذه الحقيقة فيقول الإمام الفخر الرازى فى تفسيره:

« إن يوسف قد شهد الله ببراءته بقوله تعالى: ﴿ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴾ وشهد الشيطان ببراءته بقوله : ﴿ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٢) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (٨٣) ﴾ [ص] وشهد ببراءته الشاهد من أهل العزيز إذ قال: ﴿ إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٢٦) وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٢٧) فَلَمَّا رَأَىٰ

قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ (٢٨) يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ (٢٩) ﴾. وشهد ببراءته النسوة اللاتى قطعن أيديهن بقولهن: ﴿ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ ﴾، وشهد ببراءته امرأة العزيز بقولها: ﴿ الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ .

فالذى يريد أن يتهم يوسف بالهم ، عليه أن يختار أن يكون من حزب الله، أو من حزب الشيطان، وكلاهما شهد ببراءة يوسف، فلا مفر له من الإقرار بالحق على أى حال، وهو براءة يوسف من الهم، عن مفاتيح الغيب للإمام المفسر فخر الدين الرازى بتصرف.

obeikandl.com

قصة يوسف مع زليخا حديث النساء فى مصر

﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ﴾

أخبارُ يوسفَ معْ زليخَا ، ندرة المتحدثين ٩
ونساءُ مصرَ لقد غَدَونَ على رءوسِ الخائضين ١٠
قد قلنَ فيما بينهنَّ مقالةَ الغمزِ المهين ١١
قالوا : زليخا قد أحبّت عبدَها كالعاشقين ١٢

تناثر القول هنا وهناك، عن قصة يوسف مع زليخا ، وسرعان ما شاع الخبر فى مصر، حتى صار حديث الناس فى البيوت والأسواق والمنتديات ، يذكرونه متندرين ، كما هى طبيعة الشعب المصرى، فإنه يعبر عن أفراحه وأتراحه بالنادرة والنكتة، وعن احتجاجه وانتقاده وإعجابه أيضًا بالنادرة والنكته .

ومن المؤكد أن النساء، لاسيما نساء الطبقة الحاكمة ، هن اللواتى كن يقدن حملة التنديد بامرأة العزيز ، ويلمنها أشد اللوم لكونها ترخصت فأحبت عبدها.. وقيل: بلغهن حسن يوسف ، فأحببن رؤيته ، فقلن هذا القول ، ليتوصلن إلى رؤيته ومشاهدته . . وقد كان ذلك .

ولا غرو فعيون الشعب دائما تحصى حركات الحكام وتصرفاتهم ، بحيث لا تخفى على الناس خافية من أفعال الحكام ، صغيرة كانت أم كبيرة . . إذن فخطأ امرأة العزيز كبير مهما صغر ؛ لأن عيب الكبير كبير .

وحول هذا المعنى يقول الأستاذ عبد الكريم الخطيب فى كتابه القيم : « القصص القرآنى » :

« فالحدث يكبر أو يصغر ، وتتسع دائرته أو تضيق ، تبعًا لمن تعلق به الحدث، إذ قد يقتل الرجل من عامة الناس ، دون أن يشعر به أحد ممن حوله، على حين قد يصاب الحاكم أو السيد من سادة القوم ، بخدش أو جرح ، فيكون ذلك حديث الناس، فى الأندية والمحافل ، ليوم أو لبضعة أيام .

فعيون الناس وآذانهم متعلقة بأصحاب السلطان والسيادة فيهم ، يتسمعون إلى أخبارهم ويرقبون أحوالهم ، ويشغلون بالحديث عنهم ، فى كل ما يتصل بهم ، من صغير أمورهم وكبيرها .

وعلى الرغم من أن حادثة امرأة العزيز ، كانت فى دائرة ضيقة ، لا تتعدى المرأة ويوسف ، والعزيز زوجها ، فإنه سرعان ما نفذت العيون من خدم القصر إلى هذا السر، ووقعت الآذان عليه ، فكان همسًا على الشفاه ، ثم حديثًا دائرًا على الألسنة، أقرب إلى الإشاعة منه إلى الحقيقة » .

قال القرطبي فى تفسيره :

﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ ﴾ ملخصه : وذلك أن القصة انتشرت فى أهل مصر، فتحدث النساء قيل: امرأة الحاجب وامرأة الساقى وامرأة الخباز وامرأة صاحب دوابه ، وامرأة صاحب سجنه.

وعن ابن عباس وغيره : ﴿ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ﴾ الفتى فى كلام العرب : الشاب، والمرأة : فتاة، قلت:والأصح : « الفتاة : هى الجارية الشابة» قيل: شغفها : غلبها وقيل:دخل حبه فى شغافها،أو تحت شغافها ، وقال الحسن : الشغف : باطن القلب ، وقيل : الشغف : باطن القلب ، أو وسط القلب ، وهذه كلها أقوال متقاربة .

وروى عن الشعبى أنه قال : الشغف بالغين المعجمة : حب ، والشغف بالعين غير المعجمة : جنون .

قلت : تملك حبه من قلبها ، وأحاط به إحاطة الشغاف بالقلب ، فذهب بها كل مذهب ، فاشتغل قلبها بحبه شغلاً منعها أن تفكر فى سواه ، ولا يخطر ببالها إلا إياه.

النساء فى مصر تلمن امرأة العزيز

﴿ إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ ﴾

قد ضاعَ منها رُشدُها ضلّت طريقَ الراشدين ١٣
وترددتْ أصداءُ هذا القول بين الشامتين ١٤
وصل الحديثُ إلى زليخا مثلَ كل السامعين ١٥

الحديث عن امرأة العزيز وقصتها مع خادمها ـ يوسف الصديق ـ صار على كل الألسنة ، والنساء هن اللواتى يثرنه كلما خمد أو كان يخبو . . ولسان حال النسوة جميعًا ،كيف تنازلت هذه السيدة العظيمة عن كبريائها؟! أإلى هذا الحد يصل بهذه المرأة تهاونها بمركزها، فتحب عبدها؟! تطارحه الغرام كأنه سيد من علية القوم!!

والأغرب من هذا أن العبد الذى أحبته ، لم يبادلها حبًا بحب ، بل رفض الاستجابة لما دعته إليه ، فتكون بذلك قد أهينت مرتين : مرة عندما تنازلت فأحبته، والأخرى عندما رفض الاستجابة لمبادلتها حبًا بحب.

يبدو أن المرأة قد أصابها خبل فى عقلها ، لقد أذلت كبرياءها، واستهانت بمكانتها، لماذا؟! أنسيت أنها زوجة عزيز مصر؟! والإهانة التى تلحقها تكون كأنها لحقت بكل نساء مصر. . ﴿ إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ .

وصل الخبر امرأة العزيز ، بما يدور من حديث بين جماعات النساء، لاسيما نساء القصور فى مصر ، ولا شك أن الحديث ملأ الأسماع قبل أن يصل صاحبته . . ولنستأنس بقول الأستاذ رشيد رضا فى تفسيره « المنار » فى هذا المعنى قال:

﴿ إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ أى إنا لنراها بأعين بصائرنا وحكم رأينا ، غائصة فى غمرة من الضلال ، البين الظاهر البعيد ، عن محجة الهدى والصواب.

وهن ما قلن هذا إنكارًا للمنكر ، وكرها للرذيلة ، ولا حبًا فى المعروف ونصرًا للفضيلة ، وإنما قلنه مكرًا وحيلة ، ليصل إليها ، فيحملها على دعوتهن ، وإراءتهن

بأعين أبصارهن ، ما يبطل ما يدعين رؤيته بأعين بصائرهن ، فيعذرنها فيما عذلنها عليه. فهو مكر لا رأى ».

ويقول القرطبى فى قوله تعالى :« ﴿ إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾أى فى هذا الفعل ، وقال قتادة : « فتاها » وهو فتى زوجها ، لأن يوسف كان عندهم فى حكم المماليك ، وكان ينفذ أمرها فيه ، وقال مقاتل : عن أبى عثمان النهدى، عن سلمان الفارسى قال: إن امرأة العزيز ، استوهبت زوجها يوسف ، فوهبه لها وقال: ما تصنعين به ؟ قالت: أتخذه ولدًا قال : هو لك ، فربته حتى أيفع وفى نفسها منه ما فى نفسها، فكانت تتكشف له، وتتزين له وتدعوه من وجه اللطف ، فعصمه الله ».

obeikandl.com

امرأة العزيز تدعو نساء عظماء مصر لبيتها

﴿ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً ﴾

صنعتْ طعامًا كالوليمةِ، كافيًا للمدعوين ١٦
ودعت إليه نساءَ مصرَ من البيوتِ الموسرين ١٧
هذى الأرائك قد أُعِدتْ راحةً للجالسين ١٨
بعد الطعامِ أتت بفاكهةٍ لكلِّ الحاضرين ١٩
وعلى الموائدِ كل سكينٍ لها حدٌّ متين ٢٠

علمت امرأة العزيز ، بما يتحدث به الناس عنها فى مصر، يتحدثون عنها حديثًا لا يخلو من اللوم ، لكونها أحبت خادمها أو عبدها يوسف الصديق .

لقد صار الحديث على كل فم، وفى كل بيت ، لاسيما نساء الطبقة العليا . . فمن ثم أخذت تفكر فى حيلة ترد بها على الجميع . . فماذا فعلت ؟! .

لقد أعدت وليمة، واخترعت لها مناسبة ما ، لتبرر بها إقامة تلك الوليمة ، ودعت إليها سيدات المجتمع المعروفات اللاتى بلغها أنهن يتزعمن قيادة الحديث عنها وعن يوسف، ويؤججن ناره ، ويشعلن أواره كلما خبا أو كاد يخبو .

أعدت لاستقبال ضيوفها الأرائك الوثيرة ليجلسن عليها، وربما شهد هذه الوليمة بعض الرجال من خدم القصر ، الذين لا يلتفت إليهم ، وليس لهم ولا منهم خطورة، بل هم ممن صدرت الأوامر إليهم ، بعدم الخوض فى ذكر هذا الحدث ، لكونهم عرفوه عن كثب، وبرغم ذلك فقد تسرب الخبر خارج قصر العزيز.

وهكذا ، لقد جلس النسوة المدعوات ، ووضعت الأطعمة على الموائد أمامهن، فأخذن يأكلن ، وقد كان الحديث يدور همسًا ، أثناء تناول الطعام ، على كل مائدة كان هناك حديث . . فعلى أى شىء يا ترى كن يتحدثن؟! .

لا إخالنى أبعدت النجعة إن قلت : كان معظم حديثهن تساؤلات . . ماذا تريد امرأة

العزيز من وراء هذا الاجتماع الذى دعت إليه هذا العدد من النسوة؟!.

وأحسبهن كن يجبن فيما بينهن على تساؤلاتهن الحائرة، بأجوبة متعددة ، وأستدرك فأقول : لا شك أن أفكارهن كانت تحوم حول قصة المضيفة مع خادمها يوسف.

بعد تناول الطعام الشهى ،جيء بالفاكهة ناضجة شهية ، كما هى عادة سراة القوم ، فإنهم يتناولون الحلوى أو الفاكهة بعد الطعام . . أو هما معًا متتاليان .

كانت الحضارة فى مصر قد بلغت أوجها ، فى ذاك العصر . . بحيث أنهم كانوا يستعملون السكين على المائدة والملعقة و . . . إلخ .

قال القرطبى فى قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ ﴾ : أى بغيبتهن إياها ، واحتيالهن فى ذمها ، وقيل: إنها أطلعتهن واستأمنتهن ، فأفشين سرها ، فسمى ذلك مكرًا وقوله : ﴿ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ ﴾ فى الكلام حذف ، أى أرسلت إليهن تدعوهن إلى وليمة ، لتوقعهن فيما وقعت فيه .

قال مجاهد عن ابن عباس : إن امرأة العزيز قالت لزوجها : إنى أريد أن أتخذ طعامًا ، فأدعو هؤلاء النسوة ؛ فقال لها : افعلى ؛ فاتخذت طعامًا ، ثم نجدت لهن البيوت، نجدت : أى زينت . . . إلخ ، وأرسلت إليهن أن يحضرن طعامها ، ولا تتخلف منكن امرأة ممن سميت ، قال وهب بن منبه : إنهن كن أربعين امرأة ، فجئن على كره منهن ﴿وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً ﴾ أى هيأت لهن مجالس يتكئن عليها،قال ابن جبير ، فى كل مجلس جام فيه عسل وأترج وسكين حاد.

امرأة العزيز تأمر بتجميل يوسف

﴿ وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا ﴾

يقطعنَ بالسكينِ من أشهى الفواكه آكلين ٢١
كانتْ زليخا خططتْ لتفاجئَ المتلومين ٢٢
قد أصدرتْ أمرًا إلى خُدَّامِها والعاملين ٢٣
قالتْ لهم : قوموا على تجميلِ يوسفَ مجمعين ٢٤
قد جملوه فزاد حُسنًا فوق وصفِ الواصفين ٢٥

لقد جيء بالحلوى والفاكهة بعد انتهاء الطعام ، وكانت السكاكين موضوعة على الموائد ، أمام كل امرأة من المدعوات سكين ، وذلك لاستعمالها فى قطع الفاكهة، كان هذا هو ظاهر الغرض من وضع السكاكين ، أمام المدعوات ، بيد أن امرأة العزيز ، كانت تبغى من وراء هذا أمراً آخر .

لقد قدرت أمرًا ، بإحساسها كامرأة ، وقد أصابت فى تقديرها ، لقد تحقق فعلاً ما قدرته ، فقد كانت ذكية ، وتعلم حقيقة ما تنطوى عليه نفوس النساء العاذلات لها ، لكونها أحبت يوسف . . وقد قلن فى حقها ما قلن ، لومًا وتجريحًا .

لقد قدرت أن هؤلاء النسوة العاذلات ، حينما تقع أنظارهن على يوسف ، سوف يبهرهن حسنه الأخاذ ، وسوف يذهلن عما في أيديهن ، وحينئذ سوف يقطعن أيديهن بالسكاكين ، بدلاً من قطع الفاكهة . . ! .

وإتماما للمكيدة التى دبرتها، والغرض الذى ترمى إليه من وراء دعوتها هؤلاء النسوة، كانت قد أصدرت أمرها إلى خدم القصر، أن يهيأوا يوسف ، ليبدو أكثر بهاءً وحسنًا . . وأن يرجلوا شعره ، بما يشبه عملية «الماكياج» وأن يلبسوه أحسن الملابس . . ففعلوا ما أمرتهم به سيدة القصر . . فازداد حسنًا على حسنه الذى منحه الله إياه . . ذلك لأنه أعطى شطر الحسن ؛ فقد ثبت فى الحديث الصحيح، فى حديث الإسراء والمعراج : أن رسول الله ﷺ ، مر بيوسف عليه السلام ، فى السماء الثالثة قال: « فإذا هو قد أعطى شطر الحسن » رواه مسلم فى كتاب الإيمان .

وفى رواية عند الطبرى: أن رسول الله ﷺ قال : « أعطى يوسف وأمه شطر الحسن ».

وعند الطبرى أيضا ، عن النبى ﷺ أنه قال: « أعطى يوسف وأمه ثلث حسن أهل الدنيا ، وأعطى الناس الثلثين ـ أو قال : أعطى يوسف وأمه الثلثين ، والناس الثلث».

قال القرطبى فى قوله تعالى : ﴿ وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا ﴾ . لأن حضور النساء، معهن سكاكين ، إنما هو لطعام يقطع بالسكاكين هكذا فى كتاب « إعراب القرآن » له: وقال فى كتاب «معانى القرآن » له « المتكأ » الطعام وقيل: « المتكأ » كل ما اتكئ عليه عند طعام أو شراب أو حديث ؛ وهذا هو المعروف عند أهل اللغة، إلا أن الروايات قد صحت بذلك، وحكى القتبى أنه يقال: اتكأنا عند فلان ، أى أكلنا، والأصل فى «متكأ» موتكأ، ومثله مُتزن ومُتعد، لأنه من وزنت ووعدت ووكأت .

ويقال : اتكأ يتكئ إتكاء ، حكى الكسائى والفراء أن السكين يذكر ويؤنث ، وقال الجوهرى : والغالب عليه التذكير . والأصمعى : لا يعرف فى السكن إلا التذكير.

انبهار النسوة من حسن يوسف

﴿ وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ﴾

من بعدِ ذا قالت ليوسفَ : فاستمعْ كى تستبين ٢٦
اخرجْ على جمعِ النساءِ لكى يَرَيْنكَ أجمعين ٢٧
فأطاعَها ، فرأينه فى الحسنِ ليس له قرين ٢٨
وأصابهُن من الذهولِ ودهشةِ المتعجبين ٢٩
قد صِرنَ أيضًا كالسكارى، ذاكم الوصف الأمين ٣٠
ودماؤهن غدتْ تسيلُ من المُدى (١) ، هذا يقين ٣١

بعد أن تمت عملية التجميل ليوسف الصديق خبأته امرأة العزيز فى إحدى غرف القصر ، ثم قال له : يا يوسف ! اسمع لما أقول لك .. إننى آمرك فأطع أمرى، فإننى لم أعهد فيك مخالفة لأمرى.

ثم أردفت قائلة: هذا الأمر يا يوسف ،ليس فيه إساءة لك ، ولن يكلفك شيئا . . . وهو : أننى دعوت سيدات الوزراء والأعيان فى مصر فى بيتى كلهن ، وقد أبدين رغبتهن فى أن يرينك.

ولا غرو فهن ضيوفى ، والضيف لا يدخر جهدًا فى إكرام ضيوفه ، وتلبية رغبة الضيف جزء من إكرامه ، فأحب أن ألبى رغبتهن .. فإياك يا يوسف أن ترفض أمرى، فتكون بهذا قد أسأت إلى إساءة بالغة ، بخذلانى أمام ضيوفى، فضلا عن إساءتك لضيوفى أنفسهن.

فماذا قال يوسف للمرأة جوابًا عن أمرها له : أنا على استعداد لتلبية رغبة ضيوفك أيتها السيدة ، فقالت له : إذن، اخرج من هذا الباب ، وسوف تجد نفسك وسط بهو كبير ، مملوء بالضيوف هن كل سيدات الطبقة العليا فى مصر.

دخل يوسف من الباب ، فوجد نفسه بين جمع من النساء فوقف بينهن ينظر بمنة ويسرة ، قبيل دخول يوسف ، كانت الفاكهة قد وضعت أمام المدعوات وأخذن يقطعن

(١) المدى : السكاكين .

التفاح والأترج بالسكاكين . . وبينما كان النساء يتلذذن بأكل الفاكهة ، وإذا صوت امرأة العزيز يقرع أسماعهن كالإنذار تقول: انظرن ! هذا يوسف . ﴿ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ ﴾ أى أعظمن شأنه ، وأجللن قدره . . فى تلك الأثناء كانت كل امرأة منهن فى يدها سكين ، تستعملها فى قطع الفاكهة . . ﴿ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ﴾ . . وهن يظنن أنهن يقطعن الفاكهة بالسكاكين ، والمراد أنهن أحدثن جروحًا بأيديهن من السكاكين ، وهن منصرفات بالنظر إلى حسن يوسف الذى خلب ألبابهن سحره . . فصارت الدماء تنزف من أيديهن ، دون أن يشعرن بذلك .

قال الفخر الرازى فى تفسيره ﴿ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ﴾ : وههنا مسائل:

المسألة الأولى : فى ﴿ أَكْبَرْنَهُ ﴾ قولان :

الأول : أعظمنه . . الثانى : « أكبرن » بمعنى حِضن . . قال الأزهرى : والهاء للسكت ، يقال : أكبرت المرأة إذا حاضت ، وحقيقته دخلت فى الكبر، لأنها بالحيض تخرج من حد الصغر إلى حد الكبر .

وفيه وجه آخر،وهو أن المرأة إذا خافت وفزعت ،فربما أسقطت ولدها فحاضت ، فإن صح تفسير الإكبار بالحيض ، فالسبب فيه ما ذكرناه، قوله تعالى : ﴿ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ﴾ كناية عن دهشتهن وحيرتهن. والسبب فى حسن هذه الكناية ،أنها لما دهشت ، فكانت تظن أنها تقطع الفاكهة ، وكانت تقطع يد نفسها ، أو يقال : إنها لما دهشت صارت بحيث لا تميز نصابها من حديدها ، وكانت تأخذ الجانب الحاد من ذلك السكين بكفها ، فكان يحصل الجراحة فى كفها.

المسألة الثانية : اتفق الأكثرون على أنهن إنما أكبرنه ، بحسب الجمال الفائق والحسن الكامل، قيل : كان فضل يوسف على الناس ؛ فى الفضل والحسن ، كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب ، وعن النبى ﷺ قال: «مررت بيوسف عليه السلام ليلة عُرج بى إلى السماء ، فقلت لجبريل عليه السلام :من هذا ؟ فقال: هذا يوسف ، فقيل : يا رسول الله ، كيف رأيته ؟! قال: كالقمر ليلة البدر ».

وقيل : كان يوسف إذا سار فى أزقة مصر ، يُرى تلألؤ وجهه على الجدران ، كما يُرى نور الشمس ، من السماء عليها ، وقيل : كان يشبه آدم يوم خلقه ربه ، وهذا القول ، هو الذى اتفقوا عليه .

انبهار النسوة من حُسن يوسف

﴿ ... وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ (٣١) ﴾

هتفَ النسَاءُ وقلن قولاً جاءَ فى الذكرِ المبين ٣٢
هذا لعَمْرُ اللهِ ملكٌ فِى ثِيَابِ الآدمين ٣٣

ها نحن أولاء لا نزال نتحدث عن جمع النسوة اللاتى دعتهن امرأة العزيز إلى منزلها ، هذه الدعوة كان ظاهرها ، تناول الطعام فى صورة التكريم والضيافة ، لسيدات علية القوم . فى حين كانت الحقيقة غير ذلك . . . هى أن النسوة ما دعتهن امرأة العزيز إلا لكى يرين فتاها فى طلعته البهية ، وحسنه الساحر الأخاذ .

ولا غرو فإنهن إذا ما رأينه فسوف يكففن عنها لومهن ويعذرنها فى حبه ، ذلك لأن جماله لا يمكن أن تصبر المرأة أمامه أو تتماسك ، لا سيما إذا ما كانا معاً يجمعهما بيت واحد . وفعلاً لقد كانت المرأة صادقة فى إحساسها ، صائبة فى تقديرها ، ذلك لأن النسوة حينما رأين يوسف انبهرن من حسنه الذى لم يرين مثله فى أحد من البشر مطلقاً ، وأصابهن من الذهول ما أفقدهن الشعور بالدماء تنزف من أيديهن ، من عمل السكاكين الحادة التى استعملنها فى قطع التفاح والأترج .

عند ذلك هتف النساء جميعهن ، فأبدين إعجابهن دون تحفظ . . وانطلقت ألسنتهن بعبارات الغزل والإعجاب . . وكأن المتنبى كان حاضراً هذا المشهد حينما هتف قائلاً :

خَفِ الله واستر ذا الجمال ببرقع إذا لحت حاضت فى الخدور العواتق

ولنتصور ونتخيل ماذا قال النسوة فى هذا الموقف . . فإحداهن مثلاً : قالت : إن وجهه يتلألأ برجولة نادرة ، وجمال ملائكى ، وعيناه تعكس تعبيراً من الصفاء المطلق . . وقالت امرأة أخرى : سبحان الله ! ما أجمل هذه الصورة ! لقد أبدع الله حسنه ، فجعله آية ! ، وقالت ثالثة : لا شك أن هذا ليس من البشر ، وأحسب أنه من الملائكة الكرام فى ثياب الآدمين !

لقد اطمأنت امرأة العزيز ، وشعرت بسعادة غامرة لنجاح خطتها ، فقد وقع فى قلوب النسوة من حسن يوسف ، ما أفقدهن رشدهن ، بحيث قطعن أيديهن وهن لا يدرين ،

وأن يوسف التى لاموها فى حبّه ، وقالوا عنها : ﴿ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ ﴾ لم يكن عبداً أو خادماً كما زعمن ، ولكنه فى الواقع فوق مستوى البشر ، ومن ثم فلا حرج عليها فى حبّه ، وحينئذ رأت امرأة العزيز ، أن لا بأس عليها من أن تصرح ، أمام هؤلاء النسوة ، بمكنون حبها لهذا الإنسان الذى جمعتها الأقدار وإياه ، فى بيت واحد ، يغدو ويروح صباحاً ومساءً أمام عينيها ، وهى تحترق فى داخلها . . . ومن ثم فلا عار عليها فى إعلان حبها ليوسف ، وتعترف به أمامهن جميعاً .

قال الفخر الرازى فى تفسيره ﴿ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَراً إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾ :

قرأ أبو عمرو « وقلن حاشا لله » بإثبات الألف بعد الشين ، وهى رواية الأصمعى عن نافع ، وهى الأصل لأنها من المحاشاة ، وهى التنحية والتبعيد ، والباقون بحذف الألف ، للتخفيف ، وكثرة دورانها على الألسن ، اتباعاً للمصحف .

وحاشا ، كلمة تفيد معنى التنزيه . . والمعنى ههنا تنزيه الله تعالى عن العجز ، حيث قدر على خلق جميل مثله . . وأما قوله تعالى: ﴿ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ ﴾ فالتعجب من قدرته على خلق عفيف مثله . قوله تعالى : ﴿ مَا هَذَا بَشَراً إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾ فيه وجهان : الوجه الأول ، وهو المشهور : أن المقصود منه إثبات الحسن العظيم له ، قالوا : لأنه تعالى ركز فى الطباع أن لا حى أحسن من الملك ، كما ركز فيها أن لا حىّ أقبح من الشيطان .

فلما أرادت النسوة المبالغة فى وصف يوسف عليه السلام بالحسن، لا جرم شبهنه بالملك.

الوجه الثانى ، وهو الأقرب عندى : أن المشهور عند الجمهور أن الملائكة مطهرون عن بواعث الشهوة ، وجواذب الغضب ، ونوازع الوهم والخيال ، فطعامهم توحيد الله تعالى ، وشرابهم الثناء على الله تعالى .

ثم إن النسوة لما رأين يوسف ، لم يلتفت إليهن البتة ، ورأين عليه هيبة النبوة ، وهيبة الرسالة وسيما الطهارة قلن : إنا ما رأينا فيه أثراً من أثر الشهوة . ولا شيئاً من البشرية ، لقد ترقى عن حد الإنسانية ودخل فى الملكية ، فإن قالوا : فإن كان المراد ما ذكرتم ، فكيف يتمهد عذر تلك المرأة عند النسوة ؟!

قلنا : قد تقرر أن الممنوع متبوع ، فكأنها قالت لهن : مع هذا الخلق العجيب ، وهذه السيرة الملكية المطهرة ، فحسنه يوجب الحب الشديد ، وسيرته الملكية توجب اليأس عن الوصول إليه ، فلهذا السبب وقعت فى المحبة والحسرة والأرق والقلق . وهذا الوجه فى تأويل الآية أحسن . . والله أعلم .

امرأة العزيز تعترف أمام النسوة

﴿ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ ﴾

لكن زليخا قررتْ لنسائها كى تستبين ٣٤
هذا الذى لمتنَّنى فى حبِّه فى اللائمين ٣٥
تالله قدْ راودتُه فأبىَ إباءَ الرافضين ٣٦

واقع الحال يوحى بصدق المقولة التى ترددت فى مصر ، لا سيما بين نساء الطبقة الحاكمة ، بأن امرأة العزيز قد راودت فتاها عن نفسه .

وبما أن امرأة العزيز ، قد اطمأنت بأن النسوة اللاتى لمنها قبلاً ، سوف يلتمسن لها عذراً ، لا سيما بعد أن رأين يوسف الصديق ، فانبهرن من حسنه الذى حدا بهنّ أن يصفنه بقولهن : ﴿ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾ .

ولاغرو فلو قدر لأى واحدة منهن ، أن تكون مكان امرأة العزيز ، لما كان لها مندوحة عما حدث . . أى لسوف تفعل ما فعلته !!

هذه المعانى كلها كانت تدور فى رأس امرأة العزيز ، من ثم فالموقف قد تهيأ للبوح بمكنون صدرها ، إذ لا مناص لها من الاعتراف ، أمام جمع النسوة بالحقيقة بما حدث ، فهتفت قائلة ـ وكأنها تلقى حملاً ثقيلاً كانت تحمله :

﴿ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ ﴾ أرأيتن إلى حسنة ؟! ألا ترون أنه ظاهرة غير طبيعية، فى حسنه، فى قوامه، فى تكوينه ؟! هذا الذى لاكتنى الألسنة بسببه ، هذا الذى أفقدنى صوابى حسنه ، كما أفقدكن أيضاً فقطعتن أيديكن وأنتن ذاهلات ، لمجرد رؤيتكن له مرة واحدة ، نعم لقد راودته عن نفسه ، فأبى فى عفة وكبرياء ، وأنفة ، فصرت أمامه كالجارية، وهو السيد ، أتوسل إليه فيأبى .

قال القرطبى فى تفسيره : ﴿ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ ﴾ لما رأت افتتانهن بيوسف أظهرت عذر نفسها بقولها ﴿ لُمْتُنَّنِي فِيهِ ﴾ أى بحبه و « ذلك » بمعنى « هذا » وهو اختيار الطبرى . . . وقيل : الهاء للحب : و « ذلك » على بابه ، والمعنى :

ذلكن الحب الذى لمتننى فيه، أى حب هذا هو ذلك الحب ، واللوم والوصف بالقبيح ، ثم أقرت وقالت : ﴿ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ ﴾ أى امتنع .

قال الفخر الرازى فى تفسيره ﴿ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ ﴾ فإن قيل : فلم قالت ﴿ فَذَلِكُنَّ ﴾ مع أن يوسف عليه السلام كان حاضراً ؟! الجواب من وجهين :

الأول: قال ابن الأنبارى: أشارت بصيغة «ذلكن» إلى يوسف بعد انصرافه من المجلس.

الثانى : وهو الذى ذكره صاحب الكشاف ، وهو أحسن ما قيل : أن النسوة كن يقلن : إنها عشقت عبدها الكنعانى ، فلما رأينه ووقعن فى تلك الدهشة قالت : هذا الذى رأيتموه ، هو ذلك العبد الكنعانى الذى لمتننى فيه ، يعنى أنكن لم تتصورنه حق تصوره . . . فلما أظهرت عذرها عند النسوة فى شدة محبتها له ، كشفت عن حقيقة الحال فقالت : ﴿ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ ﴾ .

obeikandl.com

امرأة العزيز تهدد يوسف بالسجن

﴿ ... وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ (٣٢) ﴾

إنى عجبتُ لأمرِهِ وغدَوت فى المتحيِّرين ٣٧
ماذا يريد فتَاىَ هذا؟! إنه كالمستهين ٣٨
إنْ لم يطعْ أمرى فسوفَ ينالُه السجنُ المهين ٣٩
ويذوقُ طعمَ الذلِّ بين النازلين المجرِمين ٤٠

ها نحن أولاء لا نزال مع امرأة العزيز ، وهى تفضى بمكنون صدرها ، وتبوح بأعز أسرارها التى كانت دفينة بين جوانحها . . إنها تخرج كنوز أعماقها أمام ضيوفها اللاتى دعتهن إلى منزلها لغرض ما فى نفسها .

لقد اعترفت بحبها ليوسف الصديق ، وأنها هى التى راودته عن نفسه ، فأبى فى عزة وعفة دونما تردد .

ثم تتساءل المرأة أمام جمع النسوة ، فتعبر عن حيرتها ودهشتها من هذا الفتى الذى أذلها برفضه فتقول : إننى فى دهشة ، متعجبة من هذا الفتى العبرانى ، لا أستطيع أن أصل إلى ما يدور فى رأسه ، ولا أعرف نوعية أحاسيسه ، أهو متبلد العاطفة ، لا يدرى ما هو الحب ؟! أم هو يحتقرنى ، ويتعالى على لكونه فريداً فى حسنه ؟!

إن امرأة العزيز حينما أفضت أمام النسوة ، بخاص سرها ، قد أجابت على كثير من التساؤلات التى كانت تدور فى رءوس وأفكار ضيوفها عن هذا الموضوع ، من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، أراحت نفسها ، فكأنها حينما تفوهت بهذا السر ، ألقت بحمل ثقيل كان يرهقها .

وهنا شعرت المرأة أنها قد تنازلت وترخصت، أكثر مما ينبغى، فمن ثم حاولت أن تستعيد شيئاً من كبريائها الجريح ، فتقول متوعدة يوسف ، من خلال حديثها لجمع النسوة .

إن هذا الفتى المغرور ، الذى رفض كل دواعى المودة والحب ، سوف يندم على رفضه هذا . . ومع ذلك فأمامه فرصة يفكر فيها ، يراجع نفسه ، فلعله يهتدى إلى

الصواب ، فيقرر ما يراه فيه مصلحة له .

فإذا ما اعتدل في تفكيره ، واستجاب إلى ما أدعوه إليه ، فبها ونعمت ، ومن ثم سوف ينعم فى الخير ، ويرفل فى النعيم ، فى أحضان الحب والجمال .

وإن أصر على عناده ، وتمادى فى غروره ، وأبى أن يستجيب لما أدعوه إليه ، فسوف أجعله عبرة لكل معتبر ، سوف آمر به فيوضع في السجن ، وحينئذ يذوق العذاب والهون بين القتلة والسفاحين من عتاة المجرمين .

قال الفخر الرازى في تفسيره :

﴿ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ ﴾ والمراد أن يوسف عليه السلام إن لم يوافقها على مرادها ، يوقع فى السجن وفى الصَّغار ، ومعلوم أن التواعد بالصغار له تأثير عظيم فى حقوق من كان رفيع النفس ، عظيم الخطر ، مثل يوسف عليه السلام .

obeikandl.com

النساء ينصحن يوسف أن يأتى الفاحشة

.....

هب النساءُ يقلنَ للصديقِ قولَ الناصحين ٤١
لِمَ لَمْ تطعْها؟! إن هذا من فعالِ الجاهلين ٤٢
إنْ لم تطعْها فهو سجنٌ فى غياهبَ مظلمين ٤٣
وتذوقُ ويلاتِ العذابِ ، وحسرةَ المتندمين ٤٤

كما أسلفنا فإن امرأة العزيز ، كشفت القناع عن أخص وأهم أسرارها ، وهذا يدل على أنها تجردت من الحياء ،فلم تحتفظ لنفسها بشىء من الأسرار ، حتى ما يتعلق بالعفة وقدسيتها . . ولا غرو فحينما يكون للحديث صلة بالعفة ، فإنه يكون بكل الحرص والحذر ، من الجنسين معاً ، بحيث يحومان حوله تلميحاً أو كناية .

أما هذا المرأة فإنها تجردت من الحياء ، بتصريحها أنها هى التى راودت يوسف عن نفسه فتشابهت بهذا مع البغايا اللاتى يبذلن كل شىء . . !!

فى هذا الجو الذى اتسم بالحديث عن المراودة وما يتصل بها ، تحلل النسوة من كل قيد وألقين عذار الحياء ، ثم التففن حول يوسف ، يمطرنه بوابل من نصحهن . . ملخص هذا النصح منهن كلهن: لماذا لم تطع سيدتك فيما أمرتك به؟! ألم تر إلى جمالها ؟! إنها امرأة جميلة ، وكل رجل يتمناها بل ويركع تحت قدميها ، ليحظى بنظرة ودّ من عينيها الجميلتين .

إنك بهذا التصرف الأحمق ، تجعل الجميع ينظرون إليك على أنك لا تتمتع بذكاء يؤهلك لمعرفة ما ينفعك وما يضرك .

ألا تعلم أنك خادمها وتحت رحمتها ؟! إنها تستطيع أن تنكل بك لأن زوجها ذو مركز خطير فى الدولة كما تعلم ، فهو يحبها وبالتالى لا يرفض لها طلباً .

استدرك يا يوسف قبل أن تفوتك الفرصة ، واقبل من سيدتك ما عرضته عليك ، ففى ذلك الخير كله لك .

وإذا ظللت مصراً على رفض مبادلتها حباً بحب ، وطاعتها فيما عرضته عليك ، فإنك سوف تلقى فى غياهب السجن ، وتعامل معاملة المجرمين ، فى الأعمال الشاقة ، فضلا عن التعذيب ، وما يترتب على ذلك من ذل وهوان .

هلم يا يوسف قبل أن تفوتك الفرصة ، وحينئذ تندم . . ولات ساعة مندم .

ياالله !! إن هؤلاء النسوة اللاتى انبرين يسدين النصح ليوسف الصديق ، ويحرضنه على ارتكاب الفاحشة ، ويزينّها له ، بل يخوفنه من عدم الاستجابة لنصحهن ، وقد عبرن بصدق عن كونهن لا يعرفن عن الحياء والعفة شيئاً ، وبالتالى فهن أبعد وأجهل من أن يعرفن عن الدين والحلال والحرام . ما يردعهن .

obeikandl.com